مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سـيد المرسـلين وإمـام المعلمين سـيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين .

اللهم أخرجنـا من ظلمـات الجهل والوهم ، إلى أنوار المعـرفة والعلم ، ومن وحول الشـهوات ، إلى جنـات القربـات .

وبعد فهذا كتيب ، متواضع في حجمه ، جعلت مـن موضوعه ــ الإسراء والمعراج ــ منطلقاً إلى إيضاح بعض الحقائـق التي يحتاجـها المؤمن في سيره إلى الله فلعلها تنيـر له الطريـق ، فيسـهل عليه حينئذ ، تذليل العقبات ، وبلوغ الغايات .

فما مـن محنـة يمـر بهـا المؤمن ، إلا ووراءها منحة

من الله الجليل الكريم . وما من شـدة تنزل بالمؤمن ، إلا ووراءها شدة إلى الله العلي الكبير .

روى الإمـام مسـلم في صحيحه عـن صـهيب أن رسـول الله ﷺ قال : ((عجباً لأمر المؤمن ، إن أمـره كلـه خير ، وليـس ذلك لأحـد إلا للمؤمن ، إن أصـابته سـراء شكر ، فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صـبر فكان خيـراً له)) .

وشـاءت حكمة الله جـل جلالـه أن يـكون النبـي ﷺ مبلغاً ، ومبيناً ، ومشرعـاً ، في أقوالـه ، وفي أفعالـه ، وفي إقراره ، وفي صـفاته ، لأن الله عصـمه عن أن يخطئ فـي كل أولئك : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُـمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ **[النحل : 44]** ، لهذا أمـرنا الله في نص القرآن الكريم بدلالة قطعية أن نأخذ عنه فقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ **[الحشر : 7]** .



وشـــاعت حكمة الله أيضـــاً ، أن تكون المهمـــة الكبـــرى التي أنيطت بالنبي ﷺ ، والتي تبرز أثـــر النبوة المعجز فـــي أمتـــه والأمم الأخـــرى هـــي مهمـــة القدوة ، والأســـوة ، والمثل ، لأن أكثـــر النـــاس يحســـنون الحديث عن المثـــل العليا ، ولكنهـــم لا يعيشـــونها ، لهذا كانت حيـــاة الأنبياء إعجـــازاً ونتائـــج دعوتهم إعجـــازاً ، قال تعالـــى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ **[الأحزاب :21]** .

روى الإمـــام أحمد فـــي مســـنده ، والترمذي ، وابـــن حبـــان ، وابـــن ماجـــه ، عن أنس ، رضـــي الله عنـــه أن رســـول الله ﷺ قال : ((لقـــد أوذيـــت في الله ، ومـــا يـــؤذى أحد ، وأخفت في الله وما يخاف أحـــد ، ولقد أتـــت علـــي ثلاثـــون ، مـــن بين يوم وليلة ، ومالي ولبـــلال طعام ، يأكلـــه ذو كبد ، إلا شيء يواريه إبط بلال)) .

لقد تحمل النبي ﷺ كل ألـــوان التـــكذيب والســـخرية والإيـــذاء فـــوقف المـــوقف الـــكامل ، وما زاد عن أن قال : اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون .

ولقد ذاق النبي ﷺ لذة النصر يوم فتح مكة على الذين أخرجوه وبالغوا في الإساءة إليه ، ونـــكلوا بأصـــحابه أشد التنـــكيل ، فـــوقف المـــوقف الـــكامل ، إذا كادت عمامتـــه تلامس عنق بعيره ، شـــكراً لله ، وتواضعاً ، وما زاد عـــن أن قال لهم : ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)) .

* * *

فلعل في حـــدث الإســـراء والمعراج الـــذي جعله الله تـــكريماً لنبيه المصـــطفى ، ومســـحاً لجراح الماضي، وتثبيتاً لـــقلب النبي الـــكريم ، وتطميناً على مســـتقبل الدعوة ، وتعويضاً عن جفوة الأرض ، بحفاوة الســـماء ، وعن قســـوة عالم الناس ، بتكريم الملأ الأعلى .
لعل في حدث الإسراء والمعراج الذي يعد من أضـــخم أحداث الدعوة الإســـلامية حيث ســـبقته البعثة وجـــاءت مـــن بعده الهجرة دروســـاً بليغة للمســـلمين في حاضرهم وفي مستقبلهم .
أرجوا الله أن يـــكون عملي المتواضع هذا خالصـــاً وصـــواباً .
والله من وراء القصد .

الأستاذ الدكتور

محمد راتب النابلسي



فهرسة الكتاب



01 - المعجزة خرق لنواميس الكون

مقدِّمة : نظام السببية :

1 ـــ نظام السببية تلازمُ شيئين وجوداً وعدماً :

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، إن الله جل جلاله خلق الكون بسماواته وأرضه ، وخلق العوالم ، وعلى رأسها الإنسان وفق أنظمة بالغة الدقة ، ومن أبرز هذه الأنظمة نظام السببية ، وهو تلازم شيئين وجوداً وانعداماً ، أحدهما قبل الآخر ، فنسمي الأول سبباً ، ونسمي الثاني نتيجة ، ومما يكمل هذا النظام الرائع أن العقل البشري يقوم على مبدأ السببية ، أي أن العقل لا يفهم حدثا من دون محدث .

ومن رحمة الله بنا أن هذا النظام في الكون ، وذاك المبدأ في العقل يقودنا برفق إلى معرفة الله مسبب الأسباب ، الأقدام تدل على المسير ، والماء يدل على الغدير ، أفسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

2 ـــ ثبات الأشياء حاصلٌ بتلازم الأسباب مع النتائج :

ومن رحمة الله بنا أيضا أن تلازم الأسباب مع النتائج يضفي على الكون طابع الثبات ، ويمهد الطريق لاكتشاف القوانين ، ويعطي الأشياء خصائصها الثابتة ليسهل التعامل معها ، ولو لم تكن الأسباب متلازمة مع النتائج ، ولو لم تكن النتائج بقدر الأسباب لأخذ الكون طابع الفوضى العبثية ، ولتاه الإنسان في سبل المعرفة ، ولم ينتفع بعقله .

3 ـــ حقيقة اتخاذ الأسباب :

لكن ، أقول : لكن ، استدراكا ، لكن من اعتقد أن الأسباب وحدها تخلق النتائج ، ثم اعتمد على الأسباب وحدها فقد أشرك ، لذلك يتفضل الله على هذا الإنسان الذي وقع بالشرك الخفي فيؤدبه بتعطيل فاعلية الأسباب التي اعتمد عليها ، فيفاجئ بنتائج غير متوقعة ، ومن



ترك الأخذ بالأسباب متوكلاً في زعمه على الله فقد عصى ، لأنه لم يعبأ بهذا النظام الذي ينتظم الكون ، ولأنه طمع بغير حق أن يخرق الله له هذه السنن .

أما المؤمن الصادق فيأخذ بالأسباب من دون أن يعتقد أنها تصنع النتائج ، وبالتالي من دون أن يعتمد عليها ، يأخذ بها ، وكأنها كل شيء ، ويعتمد على الله صانع كل شيء معتقداً أنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأن الأسباب وحدها لا تقود إلى النتائج إلا بمشيئة الله ، وهذا التوحيد الإيجابي الذي يغيب عن كثير من المؤمنين فضلاً عن غير المؤمنين ، قال تعالى :

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

(سورة يوسف)

قال بعض المفسرين هذا هو الشرك الخفي .

4 ــ خرقُ نظام السببية :

ولكنْ يا أيها الإخوة المؤمنون ، لكنَّ هذا النظام نظام السببية يخرق أحيانا متى وكيف ؟ حينما يأتي إنسان ، ويقول : إنه رسول من عند الله ، جا ء ليبلغ منهج الله ، فلابد أن يطالبه الناس ببرهان ، على أنه رسول الله ، وعلى أن الكتاب الذي جاء به هو من عند الله ، وهنا تأتي المعجزة لتكون برهاناً على صدق إرسال النبي ، ومصداقية منهجه .

والمعجزة أيها الإخوة في بعض تعاريفها خرق لنواميس الكون ولقوانينه ، ولا يستطيعها إلا خالق الكون ، لأنه هو الذي وضع القوانين والنواميس ، يعطيها لرسله لتكون برهاناً على صدقهم في إرسالهم ، وصدقهم في إبلاغهم عن ربهم ، والمعجزة ممكنة عقلاً غير مألوفة عادة ، فهناك فرق بين أن يحكم العقل على شيء باستحالته ، وبين أن يعلن عجزه عن فهم هذا الشيء ، فعدم العلم بشيء ليس علماً بعدم ذلك الشيء .



02 - (يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ)

4 ـــ عدمُ حرق النار لإبراهيم خرقٌ لقانون السببية :

أيها الإخوة المؤمنون حضورا ومستمعين ، تأكيداً لهذه الحقيقة ، فقد جاء قوم سيدنا إبراهيم عبدة الأوثان ، جاؤوا بسيدنا إبراهيم عليه السلام بعد أن حطم أصنامهم ، وأوقدوا له ناراً هائلةً ليحرقوه ، ليحرقوه أمام آلهتهم ليكون انتقامهم من سيدنا إبراهيم انتقاماً تباركه آلهتهم ، جاؤوا بالحطب ، فأوقدوا النار العظيمة ، كل شيء مُعدٌ لتمجيد آلهة غير الله ، سبحانه وتعالى ، والسؤال هنا : لماذا سمح الله لهم أن يأتوا بإبراهيم ليحرقوه بالنار أمام آلهتهم ، وهو رسول الله ؟

كان من الممكن أن يختفي إبراهيم عليه السلام ولا يظهر ، وعندئذ ينجو إبراهيم من الحرق ، ولكنْ لو حدث هذا لقالوا : لو قبضنا على إبراهيم لأحرقناه ، وعندئذ ستظل قوة الآلهة المزيفة مسيطرة على عقولهم ، وأنها تنفع من يعبدها ، وتضر من يؤذيها ، لذلك لابد أن يقع سيدنا إبراهيم في أيديهم ليشهد القوم عجز آلهتهم المزعومـــة أمام قدرة الله ، وكان من الممكن أن يطفأ الله النار بسبب أرضي ، كأن ينزل الأمطار فتنطفئ النار ، ولو حدث هذا لقالوا : إن آلهتنا قادرة على أن تحرق إبراهيم ، ولكن السمـــاء أمطرت ، ولو أن السماء لم تمطر لانتقمت آلهتنا منه بالحرق ، ما الذي حدث ؟ الذي حدث لحكمة بالغة أن إبراهيم عليه السلام لم يختف ، بل وقع في أيديهم ، وأن النار لم تنطفئ ، بل ازدادت اشتعالاً ، ثم ألقوا بإبراهيم في النار ، فإذا الله سبحانه وتعالى يعطل فاعلية الأسباب ، ويبطل إحراق النار ، وتكون النار بردا وسلاماً على إبراهيم ، قال تعالى :

قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾

(سورة الأنبياء)

ولنسأل إخوتنا المستمعين والحاضرين ، ماذا سيكون لو أن الله تعالى قال :

قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾

(سورة الأنبياء)



وماذا سيكون لو أن الله تعالى قال : يا نار كوني بردا وسلاماً ، ولم يقل على إبراهيم ، ابحثوا أيها الإخوة عن الجواب ؟ أو اسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون .

03 - الإسراء والمعراج

1 ـــ القرآن يصرّح بالإسراء والمعراج :

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، إلى موضوع الخطبة ، إنه الإسراء والمعراج ، قال تعالى مشيراً إلى الإسلام بدلالة قطعية :

سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ
ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ

(سورة الإسراء)

وقال تعالى مشيراً إلى المعراج بدلالة ظنية رحمة بنا :

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ
ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ
فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا
رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾

(سورة النجم)



2 ـ حكمة الإسراء والمعراج :

أما حكمة الإسراء فقد أجملها الله تعالى في قوله :

لِنُرِيَـــهُۥ

مِـــنۡ ءَايَـٰتِنَـــآۚ

وأما حكمة المعراج ، لقد أجملها الله تعالى في قوله :

لَقَـدۡ رَأَىٰ مِـنۡ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُـبۡرَىٰٓ ﴿١٨﴾

وقفة تأمُّل مع الآية الأُولى من سورة الإسراء :

إنّ كلمة : ﴿ **سُبْحَانَ** ﴾ في الآية تفيد أن الإسراء والمعراج لا يخضعان لقوانين الأرض ، ولا لقوانين الزمان والمكان ، وهو من الموضوعات الإخبارية التي لا يستطيع العقل أن يخضعها لمبادئه ومقاييسه .

وحينما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **لِنُرِيَهُ** ﴾ ، ولم يقل : لنريهم ، أراد أن تكون هذه المعجزة تكريماً لنبيه علية الصلاة والسلام بأن يريه ما شاء من آيات قدرته ، وعجائب صنعته ، وعظيم ملكه ، ومصائر خلقه ، ليطمئن قلبه ، وتستنير بصيرته ، ويزداد يقينه ، وليكون عالم الغيب بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم مشهوداً ، وليكون اليقين به يقيناً حسياً لا إخباريا ، فهناك فرق بين علم اليقين ، وهو اليقين الإخباري ، وحق اليقين ، وهو اليقين الشهودي ، وعين اليقين ، وهو يقين المعاينة .

وأما كلمة : ﴿ بِعَبْدِهِ ﴾ فتفيد أن الإنسان مهما خرقت له العادات ، ومهما نال من الله أعظم المكرمات لا يمكن إلا أن يكون عبداً لخالق الأرض والسماوات .

وأما كلمة : ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ ﴾ فلها قصة تأتي بعد حين .



04 - تكريم ومواساة

لقد كان الإسراء والمعراج بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم مسحاً لجراح الماضي ، وتثبيتاً لقلبه ، وتطميناً له على مستقبل الدعوة ، وتعويضاً عن جفوة الأرض بحفاوة السماء ، وعن قسوة عالم الناس بتكريم الملأ الأعلى .

لقد كان الإسراء والمعراج تكريماً فريداً من نوعه للنبي صلى الله عليه وسلم ، لقد عرف الله نبيه بعد محنة الطائف أنه سيد ولد آدم ، وأنه سيد الأنبياء والمرسلين ، ولقد أراه ملكوت الأرض والسماوات ، وما تؤول إليه الخلائق بعد الممات ، لقد كان الإسراء والمعراج عقب عام الحزن، ففي هذا العام توفيت السيدة خديجة صديقة النساء التي حنت عليه ساعة العسرة ، وواسته في أيام الشدة بنفسها ومالها ، في هذا العام أيضاً توفي عمه أبو طالب الذي أظهر من النبل في كفالته ، ومن البطولة في الدفاع عنه الشيء الكثير .

وقد نالت قريش من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم تنل منه في أي وقت مضى ، وفي هذا العام بالذات خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس هداية أهلها ، ونصرتهم ، فردوا دعوته رداً منكراً ، وأغلظوا له بالقول ، وأغروا به سفهاءهم ، لقد تحمل النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العام من الشدائد ما لا يحتمله بشر على الإطلاق ، إلا أن يكون نبياً .

4 ــ امتحان النبي قبل الإسراء والمعراج تعليم للمسلمين خُلقَ الصبر :

أيها الإخوة المؤمنون في كل مكان ، إذا كان الإسراء والمعراج تكريماً عظيماً للنبي صلى الله عليه وسلم بعد نجاحٍ باهر في امتحان صعب ، فما هذا ا لامتحان الصعب الذي اجتازه النبي حتى استحق هذا التكريم الفريد ؟ إنه امتحان الطائف .

أيها الإخوة المؤمنون ، إن ما لاقاه النبي صلى الله عليه وسلم من مختلف ألوان المحنة، ولاسيما هذا الذي رآه في ذهابه إلى الطائف ، إنما كان من جملة أعماله التبليغية للناس بعامة ، وللدعاة بخاصة.



05 - الصبر على الشدائد

فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء يبلغنا العقيدة الصحيحة عن الكون ، وخالقه ، وحقيقته ، وعن الحياة ، وعن الإنسان ، ورسالته ، وعن أحكام العبادات والمعاملات ، وعن مكارم الأخلاق ، كذلك جاء ليبلغ المسلمين عن طريق السلوك العملي ، أن ما كلفهم الله به من واجب الصبر والمصابرة يجب أن يكونوا في مستواه ، فقال تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

(سورة آل عمران)

فكما أن الني صلى الله عليه وسلم علّم الناس بأقواله كذلك علمهم بأفعاله ، وكما أنه قال للناس :

((**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**)) .

[البخاري عن مالك بن الحوريث]

و :

((**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**)) .

[مسلم]

كذلك قال لهم بلسان حاله : اصبروا كما رأيتموني أصبر ، وربما توهم متوهم أن النبي صلى الله عليه وسلم غُلب على أمره في الطائف ، وأن الضجر نال منه ، لذلك توجه لله بالدعاء والشكوى .

والحقيقة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يُغلبْ على أمره ، ولم يضجر ، وإنما استقبل هذه المحن راضياً ، وتجرع تلك الشدائد صابراً محتسباً ، لأنه كان بوسعه أن ينتقم من الذين آذوه ومن الزعماء الذين أغروا به أولئك السفهاء ، والدليل ما رواه الإمام البخاري و مسلم من أن جبريل عليه السلام جاء النبي صلى الله عليه وسلم في قرن الثعالب (مكان) ، فعَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

((**هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ ؟ قَالَ : لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا**



أَرَدْتُ ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ : ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا)) .

[أخرجه البخاري]

انظروا أيها الإخوة الكرام ، لم يتخل النبي عن قومه قال : ((**قومي**)) ، ودعا لهم فقال : ((**اللهم اهد قومي**)) ، واعتذر عنهم ، فقال : ((**فإنهم لا يعلمون**)) .

[البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عبيد بن عمير مرسلاً]

ورجا أن تكون ذريتهم عابدة لله موحدة ، هذه مادة من مواد الامتحان الصعب الذي وُفِق بها النبي عليه الصلاة والسلام ، وصدق الله العظيم حينما وصف نبيه الكريم بأنه على خلق عظيم .

5 ـ لا تناقض بين الصبر والشكوى إلى الله :

أيها الإخوة المؤمنون في دنيا العروبة والإسلام ، ليس بين الصبر على الشدائد والتضرع إلى الله تعالى بالشكوى أو الدعاء أيُّ تعارض أو تناقض ، فالشكو ى إلي الله تعبد ، قال تعالى :

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٦)

(سورة يوسف)

والضراعة له والتذلل على بابه عز وجل تلبِس العبد جلباب العبودية ، ولقد علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم في حياته كلا الأمرين ، كان بصبره الشديد على المصائب والمحن يعلمنا أن على المسلمين عامة والدعاة خاصة أن يصبروا ، وأن يصابروا .



06 - سمو روحي رفيع

وكان بطول دعائه وضراعته والتجائه إلى الله يعلمنا أن هذا من لوازم العبودية لله عز وجل ، وهل من دعاء أكثر دلالة على عبودية النبي صلى الله عليه سلم من هذا الدعاء الذي دعاه في الطائف :

((**اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربي ، إلى من تكلني ؟ إلى بعيد يتجهمني ، أم إلى عدو ملكته أمري ، إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك ، أو تحل علي سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك**)) .

[الطبراني عن عبد الله بن جعفر]

6 ـ النبي يتألم كما يتألّم البشر :

أيها الإخوة الأكارم ، النفس الإنسانية مجبولة في أصل فطرتها على الإحساس والشعور ، الشعور بلذة النعيم ، والشعور بألم العذاب ، وهي مجبولة على الركون إلى الأول والفزع من الثاني ، وحينما يوطن الإنسان نفسه على تحمل كل أنواع الضر والعذاب ، وهو يؤدي رسالة ربه مبتغياً بهذا وجهه ورضوانه ، لا يعني هذا أنه لا يتألم للضر ، ولا يستريح للنعيم ، فالنفس مهما تسامت لا تخرج عن دائرة بشريتها ، ولكن حينما يفضل الإنسان الضر مهما تكن آلامه على النعيم مهما تكن لذائذه إرضاء لوجه ربه ، وأداء للرسالة التي أنيطت به عندئذ يستحق جنة ربه إلى أبد الآبدين ، حيث يجد فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولولا أن النبي بشر تجري عليه كل خصائص البشر لما كان سيد البشر .

ولعل معنى قوله تعالى في آخر آية الإسراء :

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١

(سورة الإسراء)



أي سمع الله دعاءك يا محمد في الطائف ، وعلم منك حرصك على هداية قومك الذين بالغوا في الإساءة إليك .

ولكن حين تتأمل في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، مع قومه ، تجد أنه صلى الله عليه وسلم، قد لاقى من قومه من الأذى ، ما لا يحتمله بشر على الإطلاق ، بيد أنك تجد أيضا مع كل نوع من أنواع الأذى ، ومع كل مرحلة من مراحله ، ردا إلهيا على هذا الإيذاء ، مواساة ، وتطمينا ، وإكراما ، وتأييدا حتى لا يتجمع في النفس من عوامل التألم ، ما قد يدخ إليها اليأس.

07 - بعد المحنة القاسية جاء التكريم الإلهي

7 ـــ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا

وما الإسراء والمعراج في حقيقته إلا ردٌّ إلهي تكريمي على المحنة القاسية التي كشفت حقيقة الحرص النبوي على هداية قومه ، وكشفت صبره الجميل على إيذائهم ، وموقفه النبيل والرحيم منهم حينما عرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الجبلين ، وهو الرد الإلهي على دعائه في الطائف .

وهذه الحقيقة يمكن أن تنسحب على المؤمن بشكل أو بآخر ، فقوله تعالى :

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾

(سورة الشرح)

هذا قانون ، فشرح الصدر ، ووضع الوزر ، ورفع الذكر بعد ضيق الأمر هي سنة الله في خلقه .

ربنا سبحانه وتعالى نكر كلمة يسراً تنكير تعظيم ، المراد به اليسر العظيم ، أو يسر الدارين ، وكلمة مع تفيد الإشعار بمجيء اليسر كأنه مقارن للعسر ، والتكرير يفيد التأ كيد ، أو يفيد أن يسر الآخرة يأتي بعد يسر الدنيا ، وفي اللغة العربية أن المعرف إذا كُرِّر يكون الثاني عين الأول ، وأن المنكر إذا كُرر يكون الثاني مغايراً للأول ، فصار في الآية يسران وعسر واحد ، لذلك بناء على هذه القاعدة أثر عن النبي أنه قال :

((**لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ**)) . **[أخرجه مالك في الموطأ عن عمر بن الخطاب]**



كن عن همومك معرضـــا وكِلِ الأمور إلى القــضا
و أبشر بخير عاجـــــــل تنسَ به ما قد مضـــــى
فلرب أمر مسخـــــــــــط لك في عواقبـــه رضـــى
ولربما ضاق المضيـــــق ولربما اتسع الفضـــــــا
الله يفعل ما يشــــــــاء فلا تكن معتـــرضـــــــاً
الله عودك الجميـــــــــل فقس على ما قد مضـــــى

08 - من دروس رحلة الطائف

درس من أحداث الطائف قبل الإسراء والمعراج :

أيها الإخوة الكرام في دنيا العروبة والإسلام ، درسٌ آخر نتع لمه من رسول الله صلى الله عليــه وسلم ، وهو في الطائف ، فعندما سأله زيد بن حارثة متعجباً ، يا رسول الله كيف تعود إلى مكة وقد أخرجوك ، فأجابه النبي ، يا زيد ، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجا ، وإن الله ناصر دينه ، ومظهر نبيه .

كلّ هذا الذي رآه النبي في الطائف من أهوال التكذيب ، ومن أهوال السخرية والإيذاء ، كل هذا الذي كان قد رآه في مكة من كفر وجحود ، وتنكيل وإخراج ، كل هذا على كثرته ، وعلى شدته ، وعلى قسوته لم يكن له أي تأثير على ثقته بالله تعالى ، وعلى قوة عزيمته الإيجابية في نفسه ، فما كان الله ليتخلى عن دينه ، وعن نبيه ، وعن المؤمنين مهما بدت هجمة أعداء الدين قوية وشاملة ، فالباطل عقيدة أو قوة إلى انهيار محقق ، قال تعالى :

وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾

(سورة الإسراء)

ومن ظن أن الله سبحانه وتعالى لا ينصر رسله ، ولا يتم أمره ، ولا يؤيد جنده ، ولا يعليهم ، ولا يظهرهم على أعدائهم ، وأنه لا ينصر دينه وكتابه ، وأنه يديل الشرك على التوحيد ، والباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالاً لا يقوم



بعده أبداً ، من ظن ذلك فقد ظن بالله ظن السوء ، ونسبه إلى ما لا يليق بكماله وجلاله ، وأسمائه الحسنى ، وصفاته الفضلى ، فإن عزته وحكمته تأبى ذلك ، ويأبى أن يذل أولياءه ، وأن يكون النصر المستقر والظفر الدائم لأعدائه ، فمن ظن به ذلك فما عرفه ، ولا عرف أسماءه ، ولا عرف صفاته .

سبحانك إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت .

09 ـ معجزات الخالق سبحانه في آفاق الكون وفي أعماق أنفسنا

ـــ إذا كان أصل الاعتقاد ضعيفا فلا عبرة بالحديث عن المعجزة :

أيها الإخوة الكرام ، كلمة قصيرة عن حقيقة المعجزة ، بادئ ذي بدئ لا معنى للحديث عن المعجزات التي هي خرق للنواميس والعادات ، وعن جزئياتها ، وعن وقوعها أو توهمها ، إذا كان أصل الدين الذي يتلخص في الإيمان بالله ، موجوداً ، وواحداً ، وكاملاً ، والإيمان أنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وفعال لما يريد ، إذا كان هذا الأصل محل إنكار أو شك فلا معنى للحديث عن المعجزات أصلاً ، فالناس يخاطبون عادة بأصول الدين ، والمؤمنون يخاطبون بفروع الدين ، والحديث ع ن المعجزات من فروع الدين ، فإذا كان الأصل مهتزاً فلا جدوى من الحديث عن المعجزات .

2 ـــ الكون كلّه معجزة :

ثم إن الكون بمجراته وكازاراته ، بكواكبه ومذنباته بالمسافات البينية والسرعات الضوئية بحجوم النجوم وسرعاتها ، بدورانها ، وتجاذبها ، والأرض بجبالها ، ووديانها ، وسهولها ، وقفارها ، ببحارها ، وبحيراتها ، بينابيعها ، وأنهارها ، بحيواناتها ، ونباتاتها ، بأسماكها ، وأطيارها ، بمعادنها ، وثرواتها ، والإنسان بعقله ، وعاطفته ، وأعضائه ، وأجهزته ، بفطرته ، وطباعه ، بزواجه ، وذريته هذه كلها معجزات ، وأية معجزات ، الكون بسماواته ، وأرضه هو في وضعه الراهن من دون خرق لنواميسه ، ومن دون خروج عن نظامه ، هو في حد ذاته معجزة وأية معجزة ، والدليل قوله تعالى :



إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ
لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ
قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾

(سورة آل عمران)

3 ـ جسم الإنسان كلّه معجزة :

أيها الأخ الكريم ، جسمك الذي هو أقرب شيء إليك إنه معجزة :

ـ **ففي رأس الإنسان** ثلاثمائة ألف شعره لكل شعرة ، بصلة ووريد وشريان وعضلة وعصب وغدة دهنية وغدة صبغية ، أليست هذه معجزة ، في شبكية العين عشر طبقات ، في أخراها مائة وأربعون مليون مستقبل للضوء ما بين مخروط وعصية ، ويخرج من العين إلى الدماغ عصب بصري يحوي خمس مائة ألف ليف عصبي ، ولو درجنا اللون الأخضر مثلاً ثمان مائة ألف درجة لاستطاعت العين السليمة أن تميز بين درجتين أليست هذه معجزة ؟

ـ **وفي الأذن** ما يشبه شبكية العين ، وفيها ثلاثون ألف خلية سمعية لنقل أدق الأصوات ، وفي الدماغ جهاز يقيس التفاضل الزمني لوصول الصوت إلى كل من الأذنين ، وهذا التفاضل يقل عن جزء من ألف وستمائة جزء من الثانية وهو يكشف للإنسان جهة الصوت ، أليست هذه معجزة ؟

ـ **وعلى سطح اللسان** تسعة آلاف نتوء ذوقي لمعرفة الطعم الحلو والحامض ، والمر والمالح ، وإن كل حرف ينطقه اللسان يسهم في تكوينه سبع عشرة عضلة ، فكم حركة تحرَّكتها عضلات اللسان في خطبة تستغرق ساعة من الزمن ، أليست هذه معجزة .

ـ **وفي الإنسان مضخة** تعمل دون كلل أو ملل ، تضخ ثمانية أمتار مكعبة من الدم في اليوم الواحد ، وتضخ في العمر المتوسط ما يملأ أكبر ناطحة سحاب في العالم ، إنه القلب أليس القلب معجزة ؟



ــ **وفي دماغ الإنسان** أربعة عشر مليار خلية قشرية ، ومائة مليار خلية استنادية لم تعرف وظيفتها بعد ، بل إن دماغ الإنسان أعقد ما في الإنسان ، وهو عاجز عن فهم ذاته أليس الدماغ معجزة ؟

ــ **وفي جدار المعدة** مليار خلية تفرز من حمض كلور الماء ما يزيد على عدة أمتا ر في اليوم الواحد ، وقد جهد العلماء في حل هذا اللغز ، لَمَ لا تهضم المعدة نفسها ؟ أليست المعدة معجزة ؟

ــ **وفي الأمعاء** ثلاثة آلاف وستمائة زغابة معوية للامتصاص في كل سم مربع وهذه الزغابات تتجدد كلياً في كل ثمان وأربعين ساعة ، أليست الأمعاء الدقيقة معجزة وتحت سطح الجلد يوجد حوالي ستة عشرة مليون مكيف لحرارة البدن هي الغدد العرقية ، أليست هذه الغدد معجزة ، وفي الكبد ثلاث مائة مليار خلية يمكن أن تجدد كلياً خلال أربعة أشهر ووظائف الكبد كثيرة وخطيرة ومدهشة في الإنسان ، حيث لا يستطيع الإنسان أن يعيش بلا كبد أكثر من ثلاث ساعات ، أليس الكبد معجزة ؟

ــ **وفي الكُليتين** مليونا وحدة تصفية طولها مجتمعة مائة كيلومتر يمر فيها الدم في اليوم مرات كثيرة أليست الكلية معجزة ؟

غير أن الإنسان لانهماكه بمشاغله ، وغفلته عن خالقه ، ولطول إلفته لما حوله ينسى وجه الإعجاز فيما حوله ، وعظمة الخالق فيما خلق ، فيحسب جهلا منه ، وغرورا أن المعجزة هي تلكم التي تفاجئ ما ألفه واعتاده ، ثم يمضي هذا الإنسان الجاهل يتخذ مما ألفه ، واعتاده مقياساً لإيمانه بالأشياء ، أو كفره بها ، وهذا جهل عجيب في الإنسان، مهما ارتقى في مدارج المدنية والعلم ، تأمل يسير م ن الإنسان يوضح له بجلاء أن الخالق جل وعلا الذي خلق معجزة هذا الكون كله ليس عسيراً عليه أن يزيد فيه معجزة أخرى ، أو أن يبدل ، أو أن يغير في بعض أنظمته التي أنشأ العالم عليها .

يقول بعض العلماء الغربيين : القدرة التي خلقت العالم لا تعجز عن حذف شيء منه ، أو إضافة شيء إليه ، ولو لم يكن هذا العالم موجودا ، وقيل لواحد ممن ينكر المعجزات والخوارق : سيوجد عالم كذا وكذا ، فإنه سيجيب فوراً : هذا غير معقول ، ولا متصور ، ويأتي إنكاره هذا أشد بكثير من إنكار بعض المعجزات .



10 - الإسراء والمعراج : دلالات ومواعظ

ماذا يعلمنا الإسراء والمعراج ؟...وقد أنزل فيه قرآن ، يتلى إلى يوم القيامة .... إن في الإسراء والمعراج دلالات كبرى ، ومنارات جلى ، ومواعظ بليغة ، أكثر من أن تحصى، ومأجل من أن تستقصى !...

إنه يعلمنا أن الدنيا دار التواء ، لا دار استواء ، ومنزل ترح ، لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشقاء ، وأن الله قد جعلها دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عقبى ، فجعل بلاء الدنيا ، لعطاء الآخرة سببا ، ، وحعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا ، فيأخذ ليعطي ، ويبتلي ليجزي.

إنه يعلمنا أن للمحن والمصائب ، حكما جليلة ، منها أنها تسوق أصحابها ، إلى باب الله تعالى ، وتلبسهم رداء العبودية ، وتلجئهم إلى طلب العون من الله .

إنه يعلمنا أنه لا ينبغي أن تصدنا المحن والعقبات ، عن متابعة السير ، في استقامة وثبات .

إنه يعلمنا أنه مادام الله هو الآمر ، فلا شك أنه هو الضامن والحافظ والناصر.

إنه يعلمنا أنه لولا الجهاد والصبر ، ما عبد الله في الأرض ، ولا انتشر الإسلام في الخافقين ، ولما قمنا في المساجد نوحد الله ونسبحه وندعو إليه.

إنه يعلمنا أن اليسر مع العسر ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب.

11 - الصلاة معراج المؤمن

إن من أجل دروس الإسراء والمعراج ، أن الله تعالى كرم النبي محمدا صلى الله عليه وسلم ، بالعروج إليه ، لينال به أعلى درجات القربات ، وكرم أمته بأن فرض عليهم الصلوات ، لتكون معراجا لها إلى رب الأرض والسماوات .

لقد فرضت الصلاة ، التي هي من أجل القرب في أعلى مستويات القرب .

لقد فرضت الصلاة وحيا مباشرا ، والنبي صلى الله عليه وسلم في سرة المنتهى ، وجنة المأوى ، حيث دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى .



لقد فرضت الصلاة لأنها عماد الدين ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين ، لأن جوهر اغلدين صلة بالخالق ، وإحسان إلى المخلوق ، فالناس رجلان : شقي وسعيد ، شقي لأنه مقطوع عن الله ، متفلت من منهجه ، مسئ على خلقه ، وسعيد لأنه موصول بالله ، منضبط بشرعه ، محسن إلى خلقه .

لقد فرضت الصلاة لأنها ترقى بالإنسان من عالم الأوهام إلى عالم الحقائق ، ومن عالم المادة إلى عالم القيم ، من التمرغ في وحول الشهوات إلى التقلب في جنات القربات ، من سفاسف الأمور إلى معاليها ، من مدافعة التدني إلى متابعة الترقي ، إنها ترقى به من حال إلى حال ، ومن منزلة إلى منزلة ، ومن مقام إلى مقام.

12 - (إلّا الْمُصَلِّينَ)

النوع الإنساني من طبعته التكوينية أنه هلوع ٬، والهلوع هو الجزوع المنوع ، وهو الحريص على سلامته ، الحريص على ما في يديه ... إن هذا الضعف في بناء النفسية يلجئه إلى باب الله تعالى ، فيسعد بهذا اللجوء ، وهذا القرب ، ولو خلق قويا لاستغنى بقوته فشقي بهذا الاستغناء ، وذلك البعد ، لهذا استثني المصلون من هذا الضعف البشري حيث قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾
(سورة المعارج)

وقد أورد الإمام المناوي في كتابه ((الإتحافات السنية)) حديثا قدسيا عن الرسول صلى الله عليه وسلم : يقول الله عز وجل :

((إني والإنس والجن في نبأعظيم ، أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشك سواي ، خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلي صاعد ، أتحبب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم ، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي ، من أقبل علي منهم تلقيته من بعيد ، ومن أعرض عني منهم ناديته من قريب ، أهل ذكري أهل مودتي ، أهل شكري أهل زيادتي ، أهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب ، لأطهرهم من الذنوب والمعايب ، الحسنة عندي بعشرة أمثالها وأزيد ، والسيئة بمثلها وأعفو ، وأنا أرأف بعبدي من الأم بولدها))



13 - وعي وعقل

والصلاة كما أرادها الله أجل وأعظم من أن تكون مجرد حركات وسكنات وقراءات ليس غير ...

إنها قرب من الله عز وجل :

﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ ومع القرب الخشوع..

(سورة العلق)

إنها وعي﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

(سورة النساء)

ومع الوعي العقل ..((ليس للمرء من صلاته إلا ماعقل منها)) .

إنها عروج ....((الصلاة معراج المؤمن)) ... ومع العروج مناجاة .. ((لو يعلم المصلي من يناجي ما انفتل))

فلو شاهدت عينـاك من حسننا الذي رأوه لمـا ولـيت عنـا لغيرنـا
ولـو سمعت أذناك حسن خطابنـا خلعت ثياب العجب عنك وجئتنـا
ولو نسمت مـن قربنا لـك نسمة لمـت غريبـا واشتياقـا لقربنـا
ولو ذقـت من طعم الـمحبة ذرة عذرت الذي أضحى معنـا بحبنـا
ولولاح من أنوارنـا لـك لائـح تركت جميـع الكائنـات لأجلنـا
فمن جاءنا طوعا رفعنـاه رتبـة وعنـه كشفنا الهـم والغـم والعنا
ومن حاد عنا ضل سعيًا ومذهبـا وبـاء بحـرمان ولم يبلغ المنـى



لن تكون الصلاة قربا ، وخشوعا ، ووعيا ، وعقلا ، وعروجا ، ومناجاة إلا إذا بنيت على معرفة الله ، فكيف تذكر وتناجي من لا تعرفه ، ولن تكون الصلاة كذلك إلا إذا سبقتها استقامة على أمر الله ، واتباع لسنة نبيه ، فكيف تتقرب ممن تعصي أمره ..... إن الجهل مانع وإن المعصية حجاب ... فإذا تفكرت في خلق اليماوات والأرض عفته ، وإذا طبقت أوامره التي جاءتك بالنقل الصحيح عبدته ، فإذا عرفته وعبدته ، فقد حققت الهدف من وجودك.

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾

(سورة الذاريات 56)

فإذا رجع العبد العاصي إلى الله تعالى ، نادى مناد في السماوات والأرض ، أن ايها الخلائق هنئوا فلانا فقد اصطلح مع الله تعالى .

لذلك تعد الصلاة ميزانا دقيقا لمستوى معرفتك بالله ، لمستوى عبادتك له ، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ((مثل الصلا ة المكتوبة كالميزان ، فمن أوفى استوفى))

أي من أوفى صلاته شروطها .... استوفى منها ثمارها التي وعد الله بها ..

14 - ثمار الصلاة

والآن ما ثمارها التي وعد الله بها ؟..

إنها تطهر نفس المصلي ، و تنهي صاحبها نهياً ذاتياً عن الفحشاء و المنكر على أساس الوازع الداخلي لا على أساس الرادع الخارجي ، قال تعالى :

﴿ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾

(سورة العنكبوت : 45)

أي أن ذكر الله أكبر ما فيها . . . هذا سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب ، يريد أن يمتحن راعياً ، يرعى غنمه في أطراف المدينة ، قال له : يعني هذه الشاة و خذ ثمنها ، قال : ليست لي ، قال : قل لصاحبها ماتت ، فلم يجبه ، قال : و الله إني لفي أشد الحاجة إلى ثمنها ، و لو قلت لصاحبها ماتت أو أكلها الذئب لصدقني فإن عنده صادق أمين و لكن أين الله ؟ !! و ه ذه العفة عن المطامع ثمرة من ثمار الصلاة .

و فضلاً عن أن الصلاة طهور فهي نور المؤمن ، كما قال صلى الله عليه و سلم .



قال تعالى :

﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾

(سورة الأنعام : 122)

إن هذا النور من ثمار الصلاة وبه تصح الؤية ، ومتى صحت الؤية صح العمل .

وفضلا عن أن الصلاة نور وطهور إنها تبعث في النفس السرور ، فالنفس لاتسع والقلب لايكمئن إلا بالاتصال بالله ... قال تعالى :

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾

(سورة طه : 14)

وقال :

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾

(سورة الرعد : 28)

وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه إذا حزبه أمر بادر إلى الصلاة وكان يقول :

((ارحنا بها يا بلال))

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه إذا حضر الصلاة فأنه لا يعرفنا ولا نعرفه ورضي الله عن سيدنا سعد بن أبي وقاص إذ يقول :

((ثلاثة أنا فيهن رجل .... وفيما سوى ذلك ، فأنا واحد من الناس : من هذه الثلاث ما صليت صلاة ، فشغلت نفسي بغيرها، حتى أقضيها و ....))



15 - ((أكلؤه بقربي))

وصفوة القول ما ورد في الحديث القدسي :

((لي سكل مصل يصلي ... إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي ، وكف شهواته عن محارمي ، وأطعم الجائع ، وكس العريان ، ورحم المصاب ، وآوى الغريب ... كل ذلك لي ، وعزتي وجلالي إن نور وجهه لأضوأ عندي من نور الشمس ، على أن أجعل الجهالة له حلما ، والظلمة نورا ، يدعوني فألبيه ، ، ويسألني فأعطيه ، ويقسم علي فأبره ، أكلؤه بقربي ، وأستحفظه ملائكتي ، مثله عندي كمثل الفردوس لا يمس ثمرها ولا يتغير حالها))

فالصلاة عماد الدين ، وعصام اليقين ، وسيدة القربات ، وغرة الطاعات ، ومعراج المؤمن إلى رب الأرض والسماوات ، وهي الركن الوحيد المتكرر ، من أركان الإسلام ، والذي لايسقط بحال ، وإنها أس العبادات ، وأصل القربات ، ومبدأ الطاعات ، وهي ركن الأركان ، وأساس البنيان ، وهي أول ما يحاسب عنه المرء يوم القيامة ، ولايفلح المؤمن إلا بها ....قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾

(سورة المؤمنون : 1-2)

واعلم أن الخشوع ، ليس من فضائلها ، لكنه من فرائضها ... إنها الصلاة وهي بركة من بركات الإسراء والمعراج.

